المقدمة

الحمد لله الذى خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وجعل بينهما مودة ورحمة، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه رحمة للعالمين وخاتم المرسلين، وقدوة المهتدين، وإمامنا فى الإصلاح وإنصاف المظلومين، وبه اقتدينا واهتدينا إلى ما يصلح العالمين بما هو حق مبين، ثم أما بعد:

فقد عزمت عزماً أكيداً – مستعيناً بالله تعالى – أن أتناول موضوعات حقوق المرأة فى إصدارات متتابعة إن شاء الله تعالى ، وذلك للحاجة إليها فى عصرنا الذى طرحت فيه قضايا المرأة طرحاً جديداً يحتاج توضيحاً وتصحيحاً ، فقد أثارتنى معالجات قضايا المرأة المعاصرة بما يراه المتحدثون من آراء شخصية متأثرة بأفكار ومذاهب لا تمثل نسقاً بشرياً عاماً يحفظ مصالح المرأة ويعالج قضاياها المعاصرة معالجة صحيحة تحقق سعادتها وتحفظ حقوقها وترفع منزلتها وتحترم آدميتها، ويعرضون آراءهم فى زخرف القول، وفى باطنها فساد عظيم واحتقار للمرأة وإهدار لكرامتها وعفافها وما اختصها الله تعالى به مما ليس فى الرجل وما لا يقدر عليه سواها، فيزورون لها القول، ملحوحين بحريتها، وهم فى حقيقة الأمر يعرضون بها ، ويخدعونها عن نفسها، ويجندون لذلك نساء موتورات بسوء أو دنس، أو نساء عجزن عن أن يكن زوجات صالحات، أو نساء مضللات بأفكار هدامة، أو نساء حسناوات من منبت سوء يدعوْن بدعوى الجاهلية البدائية وتغرين النساء بالإباحية، ويحسدن نساء عفيفات مؤمنات عابدات أقمن لأنفسهن بيوتاً صالحة مستقرة، فأبين عليهن نعمة العفة والولد والزوج والقرار.

وقد روعنى ما ينسبه الناس عن جهل إلى الإسلام من سلوكيات مذمومة وأفعال متعسفة وأقوال مشينة فى حق المرأة، وليست إلا تقاليد اجتماعية موضوعة أو رواسب بدائية موروثة أو خرافات المتخرصين والمشعوذين.

وقد تواريت خجلاً مما يتأوله بعض المتعالين فى الإسلام على وجه يسىء إلى الإسلام بما ليس فيه، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله بل مما هم عليه من تقاليد متأثرة بظروف البيئة وأسقطوا ذلك على فهم النصوص فتأولوها على ما هم عليه من معتقد، وبعضهم ينقل عن مصادر غير محققة الرواية وليست إلا موضوعات أو إسرائيليات أو آراء ليست من الدين، وهم يحسبونها لقدمها حجة فيحدثون بما فيها، وآراء

الناس ليست حجة على الدين بل حجة على أصحابها.

وبعض المسلمين يرتعون فيما رتع فيه أعداء الإسلام، فنسبوا إلى الإسلام ونبى الإسلام منكراً من القول وزوراً، وهؤلاء يتحدثون عن جهل بالإسلام أو عن بغض له، فيضلون الناس بقولهم الكذب ولا يعلمون عن إسلامهم شيئاً، وبعض المسلمين والمسلمات تتنازعهم التيارات المعاصرة التى ترفع شعار الحرية معرضين عن الدين زاعمين أن الدين يقيد الحرية ويستعبد المرأة ويجعلها أسيرة الرجل، والدين لم يستعبدها بل استعبدها رجال على غير دين، وسلمت مقادها لهم ورضيت أن تكون محظية لهم دون وجه شرعى أو حق لها عليهم، وقد فضحتكم وحشيتهم مع النساء في الحروب التي يتبرءون فيها من الأخلاق والحقوق، ولم يستبح جند الإسلام أعراض النساء والأطفال أو قتلهما!

وقد أعز الله تعالى النساء فخلقهن على ما خلق عليه الرجال وخصهن بالذكر وجعل لهن حقاً على الرجال، وعرفت المرأة حقوقها أول مرة فى التاريخ فى الإسلام، وشرع الله تعالى استئذانهن فى الزواج وأبطل تعصب العرب للأولاد ورغب فى البنات وعظم أجر تربيتهن، وجعل لهن ذمة مالية، وجعل لهن ما للرجال من حقوق في الميراث، وحقوق في الحياة.

والنبى صلى الله عليه وسلم مثل رائع وقدوة فى الحياة الزوجية ومعاشرة النساء وتربية البنات، فقد أصلح ما أفسده الناس وقوم ما أعوج من سلوكهم وأرشدهم إلى الحق وفضائل الأعمال، فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم زوجاً لزوج واحدة بل زوجات، وكان مثالاً لا يبارى فى العدل بينهن وحسن عشرتهن، وامتد حسن خلقه إلى حسن معاملة أبناء زوجاته وبناتهن من غيره، فقد احتضنهم وأحسن إليهم إحسان الأب الصالح المحب لأولاده، ولم يفرق بينهم وبين معاملة بناته، وقد تعلموا من خلقه الكثير وحدثوا بحسن معاملته لهم وتأديبه وكرمه عليهم، وكانوا رواة لحديثه، ولم يصرفه عن زوجاته كثرة أعباء الدعوة وجهاد الأعداء، وأداء مصالح الناس، ولم يقصر فى نفقة ولم يبخل عليهن على ما كان يتحمله من نفقات فقراء المسلمين وضيافة ضيفه.

وقد اجتهت – ولم آل جهداً – فى أن أميط اللثام عن بعض ما تفضل به الإسلام على المرأة وبعض ما متعها به من حقوق لم تعط لها من قبله، ولم تستوفها التشريعات الدنيوية الحديثة، وليس لها نظير فيما وضعه البشر من قوانين لم تكتمل فيها وجوه العدل ولم

تحقق بها سعادة المرأة، ولو كان فى غير أحكام السماء عدل لما اختل ميزان العدل بين البشر فى الأرض، ولو كان نموذج المرأة الغربية مثالاً صالحاً، لما كانت هنالك نساء تغتصب أو دواعر (أو فتيات ليل) أو شواذ أو أطفال شوارع أو أبناء زنا أو ملاجئ بها أطفال تعادل أطفال المدارس، ولو كانوا على عدل لما اغتصبوا الأطفال وتاجروا فيهم، ويزعمون أنهم صناع الحرية والحياة وأنهم القدوة لنا، وهم فى حاجة إلى من يعلمهم أن يكونوا بشراً صالحين لهم زوجات وذرية تربى فى أكنافهم، وأوربا المتحضرة استعمرت العالم، وقتلت الشيوخ والأطفال واغتصبت النساء، وأكثر ضحايا جيوشها نساء مغتصبات، ولم يفعل ذلك جند الإسلام طوال التاريخ.

والمجتمع المسلم على ما به من فقر وفساد سياسى وضعف اقتصادى أكثر أمناً وأحفظ لدينه وعرضه وماله ونفسه منهم، وليس به ظاهرة الشواذ أو الاغتصاب أو تجارة الأطفال.

ولكن الغرب يأبى علينا أن نكون صالحين، ويتصدق علينا برذائله، ولو كان محباً لنا لأهدى لنا علمه ومدنيته وحضارته وتقنياته فلسنا فى حاجة إلى أخلاق الغرب وسلوكه وممارسته، وليست المرأة المسلمة فى حاجة إلى خلق المرأة الغربية ففى دينها غناء لها، بل نحن فى حاجة إلى علوم الغرب وتقنياته التى تجعلنا فى ركب الحضارة وهو ما يأباه أعداؤنا، فنحن على إرث عظيم من الدين والفكر الذى نشأ فى أحضان الثقافة الإسلامية والتى تحتاج إحياء وتجديداً وبعثاً، وقد أسهم فى هذه الحضارة كل من يعيش على أرض الإسلام مسلمون وغير مسلمين ورجال ونساء دون اعتبار جنس أو لون.

ولا نستطيع أن نتجاهل عقم التفكير العربى المعاصر والعقم السياسى والركود الاقتصادى وضعف الوعى الاجتماعي، فهذا كله سبب مباشر فى تردى أوضاع المرأة المسلمة وسبب من أسباب غموض مفهوم الإسلام عند الغرب وصورته المشوهة من قبل وضع المسلمين فى العالم المعاصر، وليست المرأة وحدها تئن مما وقع ويقع عليها من ظلم، بل الإسلام نفسه يشتكى المسلمين الذين يمثلون الإسلام أمام غير المسلمين، فكانوا وما زالوا شر سفير لدينه على مستوى السياسة، ولا يعلم غير المسلمين عن الإسلام كثيراً غير ما يسمعه ويراه عن السياسيين المسلمين الذين أساءوا لشعوبهم. والأمل يشرق مع زوال الفجر ويتجدد مع ميلاد طفل يحمل اللواء ويصلح ما أفسده الآخرون. وهنالك دعاة

ومصلحون مخلصون لدينهم ووطنهم يجاهدون لإصلاح المسلمين وأوضاعهم، ويصححون المفاهيم ويعلمون الناس على بصيرة وعلم وفهم، وهنالك مؤمنات صالحات يجاهدن إلى جوار الرجال لإصلاح ما فسد.

وقد كتبت هذا الكتاب وفاء لنموذج المرأة العظيم الذى ملأ عيني وأثلج صدرى وشرحه، وسرى حبه فى جسدى فاستشرى فيه، إنها المرأة التى كانت لى وعاء وكنفاً وما زالت، وقد تطفلت عليها، فوهبت لى حياتها وما زالت، فاستغنيت عنها وأنا كبير بيد أنها ترانى طفلها الوحيد غير الرشيد، فتحنو على وأنا جافيها، وترفق بى وأنا فظ غليظ، وتصلنى وتبرنى، وقد تحولت عنها إلي أخرى، ليس لها من الفضل والبر ما لها، فكنت القاطع وهى الواصلة، وكنت بعيداً، وكانت قريبة، وكنت ناسياً وكانت ذاكرة، وكنت مبتلى وكانت داعية، وكنت معدماً وكانت مغنية وكاسية، إنها أمى معلمتى الأولى الحكيمة الفاضلة الحاجة ﴿عزيزة عبد الرازق أبو زيد﴾ التى تبصرت على يديها الطاهرتين طريقى واهتديت بخلقها وفعلها ونصحها إلى طريق العلم الذى كانت منهله الأول ومصدره الذى وصلته بعلم العلماء.

كانت من القراء وما زالت، وما زال رنين صوتها الجميل وإيقاعه الهادئ الحزين – وهى تقرأ القرآن الكريم – يقع صداه فى أذنى فيسرى أثره فى أوصالى ويغبطنى بفيض لأجد له مثيلاً فى كلام الناس وأنا أسمع الآيات، وهى تجودها وتحسنها أداء، وتتغنى بالقرآن عن غيره، فجعلته غناء عن الغناء وعن الغيبة والبهتة وسوء القول.

إنها المرأة التى نهرتنى ورأيت غضبها عندما رأتنى شغوفاً بالغناء مثل أترابى، وأنا صغير ألهو وأعبث، فدفعت إلى بمصاحفها التى استغنيت بها عن الغناء وعبث الأطفال فى سن مبكرة (العاشرة)، فالتزمت مصاحفها وجلست إلى الشيخ أحفظ على يديه وأتعلم منه العلم وأتبعه إلى المساجد، وأحفظ خطبه على المنابر، وأدونها عنه، فكانت مصدر المعرفة الأول، واستعنت بشيخ آخر، أحفظ على يديه القرآن، وجالست العلماء، ولكن المعلم الذى طالت صحبتى له هى أمى العظيمة؛ لأنها كانت أحفظ وأوعى وأوفى وأرفق بى من البشر جميعاً، وقد جعلت القرآن الكريم مقدماً على غيره، وقد اقتديت بها فى ذلك، فكان الصوت الذى يعلو فى بيتنا الوارف صوت إذاعة القرآن الكريم المصرية بما تزخر به من قراء مجيدين، فهى من طيبات هذا البلد الطيب، وما زالت هذه الإذاعة بمن فيها مقربة إلى

قلبى لفضلها العظيم على، فكان أترابى يستعينون بالأغاني، وهم يحصلون العلم، وكنت أستعين بكتاب الله تعالى في قضاء حوائجي، وهو يتلى منها، وأقول لعل الله تعالى ينفعنى بما أسمعه ويبارك لى فيما أتعلمه، فجعلهما الله تعالى بفضله لي.

فنفعنى بالقرآن الكريم، فقد علوت به وبارك لى فيما تعلمته فنما وازدهر وجنيت كثيراً من ثمره وأكلت به وأطعمت غيري، ونفعت به أصدقائى وتلامذتى وجلاسي، وهذا من فضل الله تعالى على وعلى الناس ثم من فضل أمى التى وجهتنى إلى الخير وأسلمتنى إلى أهل الأمانة والعلم.

وقد كتبت هذه الشهادة شكراً لوالدتى خاصة، وقد أوجب الله تعالى شكر الوالدين : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[لقمان:١٤] فالحمد لله تعالى أن وهبنى والدين صالحين بارين بى يحفظان حقه ويعملان بأمره، فأحسنا إلى، وأدعو بدعاء سليمان عليه السلام، فى قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف: ١٥] والحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمود أبو المعاطي عكاشة

الجمعة ٢٢ صفر ١٤٢٦هـ / ١ إبريل ٢٠٠٥م

القاهرة - لاظوغلى